+ آباؤنا القدّيسون

+ البار ألكسيوس رجل الله

تعيّد الكنيسة المقدسة في السابع عشر من آذار لتذكار البار ألكسيوس الذي أهمل كلَّ غنىً وشرف في هذا الكون ليكون رجل الله في تواضعه وفقره والتصاقه بالله.

وُلِد ألكسيوس في أواخر القرن الرابع في روما من والدين من أشراف روما وأغنيائها، كانا قد تقدّما بالسنّ و لم يرزقا ولداً، فتضرّعا إلى الله، كإبراهيم وسارة، بتوسّلات حارة، فأنعم عليهما الله بولد أسمياه ألكسيوس، ربّياه تربية مسيحية صالحة، وأنشآه على الفضائل إضافة إلى تأمينهما له أفضل المعلّمين، والغنى.

نشأ ألكسيوس وميله نحو الإلهيات يكبر فيما كان أهله يسعون لتزويجه ورؤية أحفاد لهم، لكنه كان يتجنّب مخاطبة النساء وحضور الولائم، حتى أن والدته حاولت أن تدفع إحدى الشابات للإيقاع به. وبمقدار ما كانت هذه تحاول إغراءه كان يزداد صلابة.

بعد فترة وجيزة اختار له والده عروسا من نسل ملوكي، جميلة وذات تربية حسنة. وجد ألكسيوس نفسه في موقف طاعة لوالده، وبدأت التحضيرات للعرس. أُقيمت الولائم وحضرها الأغنياء والفقراء، إلا أن ألكسيوس كان ما زال في صراع بين ميله الإلهي وتلبية رغبة والديه، فشاهد في رؤيا إلهية، يوم زفافه في غرفة عرسه، صفين من جنود الأفكار يتصارعان: الصف الأول يمثّل فكر العفة وصليب الرب، الصف الثاني فكر الملذات والمرارة التي سوف تحصل لوالديه وعروسه. وفي النهاية انتصر فكر العفَّة فقرر ألكسيوس الرحيل وأودع عروسه خاتم الزواج قائلاً "ليكن تعالى فيما بيني وبينك". وخرج من باب خلفي للقصر وقصد الميناء وصعد إلى سفينة غريبة لم يعلم أحد وجهة سيرها.

وصلت السفينة إلى اللاذقية، نزل منها ألكسيوس وقصد مدينة الرها، واختار أن يجعل إقامته بين الفقراء الذين يجلسون في مدخل هذه الكنيسة ويتسوّلون، فيستطيع التضرّع إلى والدة الإله دون أن يلاحظه أحد. كان يقتات من صدقات المارين، وكان يوزّع منها على الآخرين، ويثابر على الصلوات الدائمة. وحدث أن مرّ خدام أبيه، الذين كانوا في زيارة لبلاد الشرق يفتشون عن ألكسيوس، بمدينة الرها وقصدوا الكنيسة التي كان يجلس أمامها ووضعوا في يده حسنة لكنهم لم يعرفوه فعادوا إلى بلادهم فارغين وشكر ألكسيوس الله.

لم يشأ الله أن تبقى فضائل ألكسيوس خافية عن الناس فسمع حارس تلك الكنيسة صوتاً أثناء الليل يقول له أن بين الفقراء الواقفين أمام الكنيسة من هو حقاً رجل الله "والروح القدس حالّ فيه". لم يعرف الحارس من هو هذا الرجل فتوسّل أن يعرف من هو فأتاه الصوت لاحقاً مبيّناً له من هو رجل الله، فعلم أنه ألكسيوس وأخذه إلى خاصته وحاول معرفة سرّه فلم يخبره ألكسيوس بشيء إلا بعد أن حصل على وعد بعدم البوح بشيء. سمح له الحارس بالدخول والخروج من الكنيسة ساعة يشاء. بعدها افتقده الله بمرض عضال أقعده مدة من الزمن وأوجب نقله إلى المستشفى إلى أن شفي بعد عذاب مضنٍ.

+ آباؤنا القدّيسون

بعدما ترك أهله بقي سبع عشرة سنة يجاهد في التواضع والصمت والفقر والصلاة فذاع صيته وتقاطر الناس لرؤيته وطلب مشورته الروحية. وإذ كان في التواضع العميق أراد الهرب مجدداً فخرج من الرها قاصداً اللاذقية وطرسوس. إلا أن مقاصد الله كانت غير ذلك، إذ هبّت رياح قادت السفينة نحو روما.

ارتضى ألكسيوس بمشيئة الله وسار في شوارع روما كأحد الفقراء إلى أن وصل إلى منزل أبيه، فجلس هناك بين الفقراء يستعطي حتى أن والده مرّ به و لم يعرفه لأن هيئته قد تغيّرت بسبب التقشف والغربة. طلب من والده أن يسمح له أن يكون بين الفقراء الذين يحسن إليهم، وأن يسكن في المكان الأحقر تحت درج القصر. عاش هناك عدة سنوات في الفقر والصلوات الحارة دون ملل. وكثيراً ما كانت تمرّ بجانبه والدته وعروسه دون أن تعرفاه، وكانتا تطلبان منه أن يذكرهما في صلواته، وأن يصلّي من أجل عودة ألكسيوس. وكان هو يحثهما على الصبر والثقة بالله.

بعد فترة طويلة مرض ألكسيوس و لم يعد يستطيع الخروج من مأواه تحت الدرج، فقصدته عروسه لأنها كانت تجد تعزية روحية في كلامه وتعلم سمو فضائله وقداسته، وكادت أن تكشف أمره لولا استدعاء الخدام لها. اشتدّ عليه المرض زمناً طويلاً حتى تضجّر منه الخدام وصاروا يضطهدونه. وكان البار ألكسيوس يفرح باضطهادهم ويشكر الله على كل شيء إلى أن شفاه الرب. وهكذا بقي زمناً طويلاً يعيش تحت درج بيت أبيه. أخيراً جُرّب أن يكشف أمره لوالديه وعروسه لأنه اشتاق إليهم كثيراً. عاش الصراع في داخله، لكنه في النهاية توسل إلى الله أن يجعله يموت كما عاش حتى هذا الوقت. مرض مرضاً ثقيلاً ولما عرف قرب ساعته طلب من الخادم ورقة كتب عليها سيرته، وعند انتهاء الكتابة أسلم الروح. في هذه الأثناء، فيما كان الشعب يصلي في كنيسة القديس بطرس في روما، سمع صوتاً من السماء يسألهم أن يفتشوا عن رجل الله لكي يصلي من أجل مدينة روما، وأنه موجود في ذلك القصر. فذهبوا ووجدوه ميتاً. أخذ الأسقف إينوكانذيوس الأوراق وقرأها علانية فعلم أبواه وعروسه أنه كان ألكسيوس المفقود.

دُفِن جسده الطاهر باحتفال مهيب وكانت تجري بواسطة جسده العجائب والشفاعات الكثيرة. وهكذا عاش البار ألكسيوس غريباً طيلة أيام حياته متشبّهاً "بربّه الغريب" إلى أن صار مواطناً للملكوت. فبشفاعاته اللهم ارحمنا وخلّصنا آمين.